إبادة الجزائريين خلال الاحتلال الفرنسي بين الأفعال المعزولة والإستراتيجية الاستعمارية

بقلم
أ/ عثمان زقب (*)(**)

ملخص

يتناول المقال موضوعا هاما يدخل ضمن الذاكرة الاستعمارية الجزائرية، والتي تسعى الأطراف الاستعمارية الرسمية إلى إخفائها والتنصل من تبعاتها، فيما ارتكب على الجزائريين من جرائم وإبادة والتي ترقى إلى مصاف جرائم الدولة لبشاعة مشاهد القتل الوحشي الذي تعرض له الجزائريون، ومناقشة إشكالية هامة تخص الموضوع وتتعلق بمسألة هل كل ما وقع من إبادة وإفناء للعنصر الجزائري كان بإستراتيجية رسمية أم مجرد أفعال معزولة، قد تقع في كل الحروب والنزاعات؟

تمهيد

يتناول موضوع هذا البحث بالدراسة قضية ذات أهمية في الذاكرة الجماعية للشعبين الجزائري والفرنسي تتمثل إشكاليتها في طرح تساؤلات حول ما تعرض له الشعب الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية خاصة فترة القرن 19 م من إبادة وقمع شديدين وعنف ليس له حدود من زاوية أبعاد هذا العمل الهمجي إن كان مجرّد أفعال معزولة قد يقوم بها أفراد والتي من الممكن حدوثها حتى في الحروب النظيفة إن جاز هذا التعبير، أم أن ما تم من أعمال وحشية يدخل ضمن الجريمة المنظمة والمنظّر لها في إطار إستراتيجية استعمارية هدفها الأساس إبادة العنصر الجزائري بهدف إحلال كيان جديد دخيلا على البلاد محل السكان الأصليين وبالتالي ضمان انتفاء وجود العنصر

(*) أستاذ مساعد "أ" بقسم العلوم الإنسانية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة الوادي.
(**) باحث في الدكتوراه بقسم العلوم الإنسانية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية ـ جامعة باتنة ـ الجزائر.

الأصيل الذي بإمكانه خوض حرب الاسترداد ضدّ المحتل الأجنبي في إطار بناء ما يعرف بالإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية والذي يغذيه الحقد المتأجج لدى الأوروبيين والفرنسيين بالخصوص ضدّ الدولة الجزائرية المسلمة المجاهدة والتي تصارعهم الزعامة في الحوض المتوسط في إطار الصراع التقليدي الصليبي الإسلامي.

1) التعريف بمفهوم الإبادة ومبرّراتها:

إن كلمة "إبادة" المتداولة خلال القرنين 18و19 تعددت معانيها فنجدها مثلا تعني موت شخص يتبعه إحراق جثته أو قطعها إربا، أو تنفيذ إعدام بدون محاكمة أو مجازر جماعية، ونلاحظ هنا إن سلطات الاحتلال الفرنسي كانت تدرس هذه المشاريع والعمليات وتقنيات الجيش في إفريقيا والتي تم تصورها في بداية الأربعينات من القرن 19 م، عندما تغيرت نضرته للحرب فأصبحت شاملة واعتبر كل سكان الجزائر مقاتلين وممتلكاتهم معسكرات، فبهذه الطريقة اعتبر الجزائريون أعداء غير تقليديين يمكن بل و يجب القضاء عليهم في بعض الظروف واعتبار أراضيهم أهدافا عسكرية، مما يعني عدم وجود أي شبر منها ينجو خارج ويلات الحرب، وكانت النتيجة الحتمية لهذه النظرة التهديم الكثيف للمدن والقرى والمحاصيل وسرعان ما أخذت الحرب على الايالة السابقة منحا عنيفا واستعملت طرقا مذهلة في الوقت الذي شهدت فيه النزاعات بين دول أوروبا التخلي عن الهمجية، انصياعا لقواعد إنسانية وحضارية [1].

إن المتتبع لمسار مسلسل الإبادة التي تعرض لها الشعب الجزائري من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي يبرز ظاهرة لها من الأهمية في كشف حقائق مخطط الإبادة التي شملت الجزائريين بمختلف فئاتهم وكياناتهم والتي لا يمكن حصرها فقط في محاولة القضاء على العنصر الجزائري إلى أكبر قدر ممكن أما ما تبقى منه يتم التضييق عليه واستيعابه ضمن قواعد وإجراءات استثنائية تؤدي بالتقادم إلى تقليص حجمه ودوره في إدارة شؤون البلاد والتمتع بخيراتها وبالتالي التعرض للتهميش والإقصاء ومصادرة الهوية في آخر المطاف وذلك ليس لمنحه هوية المستعمر مثلما يعتقد البعض بل لكي يتم إبقاء الشعب الجزائري بلا هوية أو لنقل مجتمع نكرة لكي لا يسمح بوجود عامل البقاء الأساسي وهو الشعور المشترك لدى شعب ما بالانتماء لكيان مستقل يمنحه الرغبة والدافع للدفاع عن هويته المستقلة والذاتية من محاولات الأجنبي تصفيته عبر التاريخ.

إن كلمة "أهلي" التي فرضت في القرن 19 لتمييز المستعمرين نزعت عن هذه الفئة أي هوية وطنية وبالتالي كل هوية سياسية، غير أن الجزائر تعد حالة مختلفة بالمقارنة مع مجتمعات أخرى حافظت على وطنيتها ودولتها كالمغرب وتونس على سبيل المثال[2].

إن مسلسل البطش الذي تعرض له الجزائريين كان في الكثير من جوانبه يدخل ضمن إستراتيجية مدروسة انتقلت من الحرب الجزئية الى الحرب الشاملة التي لا تفرّق بين العسكري أو المدني ولا بين الرجال والشيوخ والنساء والأطفال بل إنها استباحت كل المحرّمات في الحروب التقليدية، إن هذا العنف والقمع الهمجي ما كان ليحدث في اعتقادي لو لم يجد غطاء وحماية له من كل متابعة ففي هذه المعركة الجبانة ضد المدنيين الجزائريين العزّل في غالبيتهم والتي يحتفل القادة العسكريين الفرنسيين فيها ببطولاتهم وأمجادهم شاركت أطراف عديدة في دفع آلة الحرب والدمار من السياسي إلى الفيلسوف ناهيك عن مفكري تلك الحقبة خاصة القرن 19 م وكذا الفترات المتلاحقة ولو بأقل حدّة بحكم التغيرات التي سيعرفها العالم نسبيا بعد الحرب العالمية الأولى فما جرى من تقتيل وإبادة خلال مجازر 8 ماي 1945 لا يمكن تصورها رغم أن مظاهرات الجزائريين السلمية حصلت في فترة كانت تستوجب الفرح والاحتفال بنهاية الحرب العالمية الثانية فلا يمكن تصور أن ما حصل من إبادة كانت عفوية وغير مقصودة تدخل في خانة الحفاظ على استتباب الأمن، لقد دبّرت المكيدة بهدف إجهاض اليقظة السياسية التي شهدتها الحركة الوطنية منذ صدور البيان الجزائري في فيفري 1943 ولعل هذا ما يفسر تركز التقتيل وحملة الإبادة في الشرق الجزائري بحكم تواجد خلايا جبهة أحباب البيان والحرية بها ناهيك عن زعماء الحركة الوطنية، ليستمر هذا المسلسل أيضا خلال ثورة التحرير الوطني 1954–1962 وما رافقها من قمع وتقتيل أمام أعين المجتمع الدولي والأمم المتحدة بالخصوص.

2) مشاهد من فصول الجريمة والإبادة الاستعمارية:

لقد تم احتلال الجزائر بشق الأنفس تم التعبير عن ذلك جيدا حين قيل أن بيجو أراد أن يشن حربا تدميرية، حيث جاء في تصريح ألكسيس دي طوكفيل: "..أنه كان ينبغي تدمير المدينة برمتها في الأقاليم التي لم يتم التحكم فيها" ، فلم يشهد التاريخ أي احتلال أطول وأقسى من هذا الاحتلال لطول فترة المقاومات الشعبية للاحتلال ، كما أن الحملات الإفريقية حسب تعبير بيجو والتي بقيت حلقات منها في الذاكرة كانت شنيعة ؛ مجازر متكررة، وعرض لرؤوس القتلى ،

حرق 800 شخص في مغارة بالظهرة، واغتصاب، وقد احتفظ أحد أبطال رواية زولا بعنوان "الأرض"، الذين تم تهجيرهم في خدمة عسكرية طويلة الأمد ببعض الذكريات الجيدة التي تضحكه إلى حدّ نزف الدموع: " آذان بدو مقطعة مجمّعة في شكل عقد، بدويات بشرتهن مدهونة بالزيت مكبلات خلف أعمدة ومصدومات في جميع الثغور... قافلة كبيرة من النساء مصفرّات الوجه كحبة ليمون، أجبرن على الجري وهنّ عاريات وفي مؤخرتهن عيدان "[3].

إن حرب الإبادة التي قادها الاستعمار على الشعب الجزائري إما بشكل مباشر، أو غير مباشر خلال الفترة الممتدة من سنة 1830 الى سنة 1870 قد ساهمت في وفاة ملايين الجزائريين ومعظمهم كانوا من سكان الأرياف والذين أضنتهم وأفنتهم المجاعات والأوبئة والمعارك الطاحنة وأعمال التخريب والتشريد، يضاف إليهم أعداد من سكان المدن والذين هاموا على وجوههم في عملية تشريد وتهجير رسمية لكن غير معلن عليها، وأصبح الكثير منهم في المنفى اللاإرادي الذي فرض عليم في فرنسا والبلاد العربية وكاليدونيا الجديدة[4].

ولو نتحدث عن بعض مشاهد الإبادة الاستعمارية للجزائريين خلال فترة الاحتلال الفرنسي وخاصة في القرن 19 والذي وصل فيه الصراع إلى أشدّه خاصة من طرف الجزائريين دفاعا عن بلادهم وسيادتهم المفقودة وأرضهم المنهوبة، والتي استخدم فيه الاستعمار أبشع فصول الجريمة والإبادة، حيث تصف لنا الرواية الفرنسية الرسمية فصول الحادثة، كما يدعي الفرنسيون في روايتهم الرسمية: " أن هناك الكثير من العساكر المرتزقة من صفوف الجيش الفرنسي، وبالتحديد من الكتيبة الثالثة التي كانت متمركزة في الخطوط الأمامية في نواحي الدار البيضاء.وكانت قبيلة العوفية تقطن في النواحي المجاورة لمركز هذه الكتيبة الأخيرة، و تسببت في فرار العساكر الفرنسية من صفوف جيوشهم، إضافة إلى أن هذه القبيلة كانت مسرحا لعدة جرائم وسرقات، أصبح من الضروري وضع حد لها. ومن ثمة قررت السلطات الفرنسية تأديب هذه القبيلة، وإعطائها درسا، يكون عبرة للقبائل الأخرى "[5].

وعلى هذا الأساس غزت القوات الفرنسية قبيلة العوفية. " وكانت هذه القوات متكونة من 300 عسكري من المشاة، وكتيبة من الخط الرابع و300 عسكري من المرتزقة الأجانب، بقيادة الجنرال فودواس Faudous، فالعرب تركوا على الميدان 70 قتيلا. ومن بين القتلى، عثر على جثتين لألمانيين، كانا قد فرا من صفوف الجيش الفرنسي. وقد أظهرت فرق اللفيف الأجنبي بسالة

كبيرة خلال هذه المعركة، وكوفئت على ذلك بـ 10000 فرنك فرنسي"[6]. ويصف لنا الدكتور أبو القاسم سعد الله المشهد والمتمثل في أن الجيش الفرنسي قد أغار على قبيلة العوفية ليلا في السابع من أفريل 1832، ثم قاموا بتصفية كل سكانها، وأكثر من ذلك حيث قاموا بمحاكمة شيخها الربيعة رغم براءة هذه القبيلة من تهمة الفرنسيين لها بالاعتداء على وفد فرحات بن سعيد والذي جاء يطلب التعاون مع الفرنسيين[7]. ولكن رواية المرتزق الألماني أوغيست جاجير August Jager و الذي شارك بنفسه في هذه الغارة تقول بأشياء فيها من الفظاعة ما يندى لها الجبين من القتل البارد والعشوائي والجبان لسكان عزل من مختلف الأعمار، حيث يروي من ضمن كلامه: " في منتصف شهر أفريل سنة 1832، جاءنا أمر بالاستعداد العاجل،ووضعت القوات الفرنسية في حالة طوارئ، بسبب التحركات المريبة لبعض القبائل العربية، والحق أننا كنا ننوي استغلال الموسم الربيعي الجميل الذي كنا ننتظره بفارغ الصبر لشن حملة ضد هؤلاء المتوحشين. فالقبيلة التي وقع عليها الاختيار، هي قبيلة العوفية، وقد اتهمت هذه الخيرة بأنها تسببت عدة مرات في فرار[8] العساكر المرتزقة من صفوف فرقهم. وكانت هذه القبيلة تبعد بحوالي ثلاث ساعات مشيا على الأقدام من الدار البيضاء، وتتمركز في السهول الخصبة لمنطقة متيجة، وهناك ضربت خيامها، وأطلقت قطعانها من الماشية لا تحصى ترعى هنا وهناك"[9]، ويضيف جاجير قائلا: حاصرت فرق الشاسور الخيام من جهة اليسار، وذلك لمباغتة العدو من الوراء وللحيلولة دون فراره. أما على جهة اليمين فكان هناك مستنقع ضخم نبتت فيه أقصاب عالية كثيفة. ورغم أن الهدوء كان تاما، فان العدو قد شعر بوجودنا، وقد يكون بعض الرعاة، الذين كانوا مستيقظين هم الذين أشعروه بوجودنا، ذلك لأننا لاحظنا كثيرا من أعضاء القبيلة ينقضون نحو جمالهم، وجيادهم، وبغالهم يحاولون الفرار بأنفسهم. وأثناء ذلك شنت القوات الفرنسية هجوما عاما على من بقي في الخيام، فالطلقات المدفعية الأولى باغتت النائمين داخل الخيام، وزرعت بينهم الرعب والفرع، وكادت أن تشل حركة العدو ولكن رغم ذلك استطاع الرجال أن يأخذوا أسلحتهم، وان يمتطوا جيادهم، في حين كان العجزة، والشيوخ، والنساء، والأطفال يصرخون صرخات رهيبة[10] محاولين الابتعاد والاختفاء من الطلقات النارية. وفي هذه الأثناء كانت فرق المشاة تتقدم مطلقة النار على كل متحرك بدون استثناء، بينما كان الفرسان الفرنسيون يطاردون الفارين، ويشلون حركتهم بسهولة تامة. والذين لم يسعفهم الحظ في الفرار فقد ذبحوا دون

شفقة، بينما الذين كانت في استطاعتهم المقاومة، حوصروا من كل الجهات، ثم انسحبوا عبر المستنقعات جارين وراءهم بعض النساء والأطفال واختفوا بين القصاب العالية الكثيفة"[11].

ليخلص في الأخير جاجير إلى قوله في مذكراته:" ارتكبت العساكر الفرنسية خلال هذه المعركة فظائع لا يمكن وصفها. لم ترحم العساكر الفرنسية حتى الأطفال، فقد اغتالوهم، وهم في أحضان أمهاتهم، ثم يذبحون هؤلاء الخيرات بدورهم "[12].

في الواقع تعد كتابات الرحالة الألمان ومذكرات المرتزقة الذين عملوا منهم في عمليات احتلال الجزائر مصدرا هاما ضمن إعادة كتابة تاريخ الجزائر، حيث تقدم لنا كتاباتهم معلومات جد هامة عن الوسائل التي عمدت إليها الإدارة الفرنسية لتغيير وجه مستعمرتها الجديدة، وقد اعتمدت هذه الوسائل حسب الروايات الألمانية على الاضطهاد والعنف في أغلب الأحيان [13].

لقد لجأ الفرنسيون لأسلوب الإبادة الجماعية عن طريق تطبيق الاختناق بالدخان في مخبأ أو غار، مثل تصفية قبيلة رياح اختناقا في غار بجبال الظهرة في ربيع 1845، وقد لجأت للغار هربا من بطش الفرنسيين، وكان عددها حوالي 1000 نسمة[14]، وكان المسئول عن هذه الجريمة هو المارشال بيليسيه والذي كان تحت قيادة بوجو[15].

وما فعلته القوات الفرنسية مع ثورة الزعاطشة وزعمائها لا يمكن نسيانه، إذ وبعد عدة أسابيع من الحصار وقطع الأشجار والحرائق والضرب بالمدافع تقدم الجيش الفرنسي إلى وسط البلدة فواجه مقاومة عنيدة آخرها التي بقيت حول دار بوزيان، فاستعمل الفرنسيون الألغام لنسف الدار على من فيها لإجبارهم على الخروج منها، وفعلا خرج بوزيان وابنه والشيخ الدرقاوي وغيرهم وسط الدخان والغبار الكثيف وكأنهم أشباح، وسيقوا الى حتفهم، حيث قام الفرنسيون بإعدامهم فورا مع تعليق رؤوسهم حيث يراها من يشك في موت زعيمهم وكانت القوات الفرنسية بزعامة الجنرال هيربيون والذي ترك في مذكراته فصولا عن المعركة[16]. وبعد تدمير مقاومة الزعاطشة والتغلب على المقاومين في المنطقة من حولها، صعدت فرقة من الجيش الفرنسي الى جبال الأوراس وأحرقت واحة أخرى هي ناره في جانفي 1850، وكان قائد العملية هو الجنرال كاروبير. حيث واصل عملياته الانتقامية والتأديبية ضد السكان إما لأنهم ساندوا انتفاضة الزعاطشة وإما لأنهم رفضوا دفع الضرائب الجديدة التي كان الفرنسيون يرون فيها علامة على الخضوع لهم[17].

لقد امتاز الدوق دي روفيغو. والذي كان في السابق وزيرا للشرطة. بقسوة لا نظير لها حيث أقدم على إبادة قبيلة من الأهالي العزّل عن بكرة أبيها، والمعروفة بقبيلة الأوفياء في سهل متيجة، حيث يبلغ عدد أفراها عندما تمّ إبادتها 12000 نسمة. أما الجنرال سانت آرنو Saint-Arnaud فيفتخر بانجازاته وحربه القذرة في مواجهة الأهالي الجزائريين في مؤلفه رسائل Lettres، حيث يعترف بأنّه قد محا عدة قرى من الوجود، وأقام طريقه جبالا من جثث القتلى[18]. أما الجنرال بيليسي، فأحرق بدوره جماعات من البدو مع نسائهم وأطفالهم في المغارات. أما الجنرال مونتانياك فكان يفتخر بلقب " مشاة الموت" والذي يطلق على جنوده، ومن كثرة المذابح الرهيبة التي كان يرتكبها أصبحت الدواوير[19] خالية من سكانها[20].

لقد قمعت فرنسا كل الانتفاضات بوحشية، ويبدو أن هذا القمع الوحشي هو الذي رسّخ الروح الوطنية لدى الجزائريين، كما أن حجز الأراضي والممتلكات الخاصة بالمقاومين والجزائريين عموما، هو الذي دفع الجزائري بتقديس الأرض ولذا كان يموت لأجل الحفاظ عليها[21]. وإن ما حدث في انتفاضة واحة الزعاطشة التي تعد امتدادا لمقاومتي الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر، لتقدم مظهرا قاسيا للوحشية التي وصل إليها الجنود الفرنسيين الذين أمعنوا في التقتيل والتمثيل بجثث الشهداء الذين استشهدوا في قتالهم ضد العدو المغتصب، بعدما قدموه من بسالة وشراسة في القتال ما يشهد بها حتى الضباط الفرنسيين[22].

لقد استفاد الجزائريون من مآسي ثورة الزعاطشة، في مسألة أن مصيرهم سيكون الإبادة مثل ما حدث في واحة الزعاطشة إن هم ركنوا الى العدو وجبنوا عن مقاومته والانتفاضة عليه. ولعل هذا ما يفسر استمرار الانتفاضات في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي إلى غاية 1916[23].

3) التنظير لجريمة الإبادة والحرب القذرة:

وضمن هذا الاتجاه، كانت فرنسا تريد أن تبرز لأوروبا وعلى وجه الخصوص انجلترا وألمانيا قوتها العسكرية وذلك من خلال تكوين إمبراطورية استعمارية، فحسب اعتقاد الفرنسيين أن الاستعمار قد فرض نفسه على كل أمة تريد أن تنموا وتشغل حيزا هاما في المجموعة الدولية، ولعل هذا هو الدافع الأساسي الذي جعل فرنسا ترتكب الإبادة والعنف والقمع الشديد في الجزائر لإنجاح هذا الحلم أو الوهم الاستعماري، فمثلما يقول فرانسيس غارنيي: " مثل المنحلات التي لا تتوسع، فان الأمم بدون مستعمرات هي أمم ميتة"[24].

إن التاريخ ليس قضية معرفة فحسب عند الفرنسيين، بل يقوم كذلك بوظيفة اجتماعية تم تقنينها في عهد الجمهورية الثالثة والتي تستدعي التفكير، ذلك أنه ومنذ سنوات 1880 تم إدراج تخصص علمي يمتد من المدرسة الابتدائية إلى غاية السوربون مع سلك من المتخصصين , كان دورهم هو المساهمة في تحقيق إجماع , فبعد مرور قرن من الحروب الأهلية المتكررة وتغير الأنظمة، كان ضروريا أن يتم اقتراح ثقافة موحدة حول قيم أساسية للوطن , فاحتل الاستعمار مكانة هامة في الأيديولوجية الدراسية باعتباره انتشار لفرنسا على الكرة الأرضية وتوسيعا للحضارة على مستوى الكون و وبهذا الرصيد عبر الفيلق البحر الأبيض المتوسط[25].

جاء في رسالة ألكسيس دي طوكفيل الى لاموريسيير: "مادمنا موافقين إن أعمال العنف الكبير ذاك المتمثل في عملية الاحتلال , فلا مبرر للتردد حين اقتراف أعمال العنف الجزئي الضرورية من أجل تعزيز الاحتلال "[26]. إن هذا الكلام يدعوا للضحك والسخرية فأرى أن تصنيف العنف الى كلي وجزئي كمن يفرّق بين ذبح الشاة وسلخها، مع أن في كلتا الحاتين يتحقق نفس الهدف وهو موت الجزائري وإبادته.

لقد كانت عقلية جنرالات ما يعرف بجيش إفريقيا بنفس تفكير الجنرال بيجو الذي أعلنها في الجمعية الوطنية الفرنسية مطلع عام 1840 إنها الحرب الشاملة حيث قال:" نحن لا نحارب الجيوش وإنما نحارب مصالح الأمم التي نتصارع معها وليس هناك في إفريقيا سوى مصلحة واحدة إنها المصلحة الزراعية..إنني لم أهتد إلى أية وسيلة أخرى لإخضاع ذلك البلد سوى العمل على تحقيق تلك المصلحة..أقول لكل قائد طابور ؛ أيها الجنرال لا تتمثل مهمتكم في الجري وراء العرب، لأن ذلك لا يفيد في شيء، بل تتمثل مهمّتكم في منع العرب من ممارسة الزراعة والحصاد والرعي في المناطق الواقعة تحت سيطرتكم وتتمثل مهمتكم في التجوّل في كل اتجاه...سوف تصدر الأوامر إلى بقية القادة لكي يحرموا العرب من التمتع بحقولهم..أيها السادة لا يمكن خوض الحرب بعواطف ملؤها حبّ البشرية..غايتي المثلى هي دوما تحقيق المصلحة العليا لفرنسا ولذلك فإنني أفضلها على القيام بأعمال خيرية غبية إزاء أجانب لا يتورعون في قطع رؤوس جنودنا الجرحى أو السجناء"[27].

وقد أكد لاموريسيار أن أقوال بيجو تعدّ تعبيرا صادقا عما يختلج في صدور كل عناصر جيش إفريقيا، أما مونتانياك فهو لا يرى فائدة تذكر في التحلّي بالعواطف النبيلة مادامت الأساليب

المستعملة إلى حدّ الآن لم تؤت ثمارها حيث يصرح هذا الأخير بقوله: " جنّدوا طوابير الخيّالة وقوموا بغزوهم..أحرقوا غلاّتهم واقطعوا اتصالاتهم مع المغرب فستجبرونهم للتعامل مع أسواقنا..وإلا فاقضوا عليهم عن آخرهم ولكن القيام بذلك يستوجب وجود رجال آخرين على رأس الحكومة رجال ليسوا من الفلاسفة العبثيين ولا من سلك المحامين ولا من الأطباء بل من الجنود "[28].

لقد صوّر الأديب الفرنسي فكتور هيجو سلوكيات عناصر الجيش فيما بينها ومع سكان الجزائر الذين كانوا يجهلون عنهم الكثير إذ لا يعرفون طبائعهم سوى بعض المغالطات في أن العرب جماعات غليظة الطباع مجردة من المشاعر والأخلاق تحترف الكسل وهي كلها أفكار راجت خلال القرنين 18 و19 على يد كتاب متعصبين من الفرنسيين والأوروبيين الحاقدين من بينهم غوتيه ايميل فليكس و ألكسيس دي طوكفيل، كما كانت تصرفات الجيش مشحونة بالحقد والأعمال الانتقامية ضد كل ما هو جزائري بداية بالإنسان الجزائري وكل ما يرتبط بالأرض والأملاك والقيم والعقيدة والهوية الثقافية، فمن مبرر طرد الأتراك تحول الأمر إلى مطاردة سكان الجزائر دون تمييز والعمل على تفكيك التركيبة الاجتماعية للجزائريين بضرب القبيلة وتصفية رموزها[29].

لقد استغل الفرنسيون الانتفاضات الشعبية لتنفيذ أحكام بالإعدام على الكثير من الجزائريين، ظنا منهم أن سياسة القمع هي أنجح علاج للقضاء على الروح الوطنية، لكن الانتفاضات التي قامت وظهرت بعد ذلك أكدت بأن روح المقاومة أقوى من القمع، والإرهاب، والإبادة[30].

لقد شكل انتصار سياسة استعمار الأرض الجزائرية في ظل المعركة غير المتوازنة بين الأهالي الجزائريين والأوروبيين بدعم من الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وسيلة من وسائل التي كان يترقب من خلالها الطرف الفرنسي فناء العنصر الجزائري، في الوقت الذي كان فيه الأقلية الأوروبية المتغطرسة من الكولون تمني النفس بالاستئثار بالجزائر، والقبول فقط سوى بوجود طرف وعنصر بشري واحد في البلاد انه العنصر اللاّتيني الجديد[31]، ويقصد من ذلك بالطبع التنكر لوجود العنصر الجزائري الأصيل في محاولة لتغيير تاريخ وتركيبة الجزائر الأثينية والحضارية.

الواقع أن كل ذلك كان موضوع مناقشات في البرلمان وعلى أعمدة الصحف وفي أوساط

الرأي العام بشكل عريض وربما صدمت عمليات الغزو كإستراتيجية مفروضة على جميع التشكيلات العسكرية مشاعر البعض ولكن لم يكن ذلك أبدا من منظور الشفقة على مصير السكان الجزائريين، لاشيء إذن عن الشعب الجزائري فالانتقادات الموجّهة ضدّ تلك الإستراتيجية هي قبل كل شيء انتقادات تنبئ عن عدم التصديق يقينا بفعاليتها على المدى البعيد[32].

وهكذا نجد شخصا مثل طوكفيل متخوفا من البعد الهمجي الكامن في تلك الإستراتيجية لكن لا يجب أن يغشى أبصارنا أنه صاحب كتاب "عمل يتعلق بالجزائر" ومن الواضح أنه أخرجه خصّيصا لدعم نظريات صديقه لاموريسيار ؛ فهو إذا من أنصار الحرب باعتبارها داءا لا غنى عنه، ومن أنصار الغزو باعتباره وسيلة لا مناص منها، فحسب طوكفيل لا ينبغي أن تتجاوز الهمجية حدّا قد يدفع بمن بقي من السكان الى إضمار عداوة أبدية ضد التواجد الفرنسي، فينبغي حسب رأيه تقليص عدد العرب،فإذا تقلص عددهم فإنهم سيدركون أن مصلحتهم تكمن في الاستفادة من الحضارة التي جاءت إليهم تطرق أبوابهم وسوف يأتون إلينا منساقين بفعل جاذبية أسواقنا جاذبية أسواق المستعمرة، فالمهم حسب رأيه هو التمكن من تجاوز مرحلة الهمجية التي لامناص منها مع الحرص على عدم الإساءة إلى صورة فرنسا وسمعتها في محافل الأمم لأن الهدف من الاحتلال هو بالتحديد تمكينها من تبوء المكانة التي هي أهل لها" [33].

ونفس هذا الأمر ينطبق على كاستيلان والذي يظهر لنا منتقدا للهمجية غير أنه ليس من باب التأثر بمعاناة الجزائريين بل لأنه يتخوف من أن تصير عمليات التخريب والتقتيل الجماعي سلوكا طبيعيا فتترتب عنه آثار وخيمة على معنويات العسكر وانضباطهم بل وخشيته من أن هذا الأسلوب الهمجي سيمنح العسكر والضباط ثروات والتي لن تكون غنائم عسكرية فقط[34] في إشارة إلى تحول هذه المكاسب إلى نفوذ سياسي.

لقد أطلعنا العديد من العسكريين الفرنسيين من خلال رسائلهم أو كتاباتهم المختلفة عن رؤيتهم للقتال في الجزائر والغزو إذ لا يتعرض الدوار للهجوم بغتة بهدف إبعاد خطر أو فرض سلطة بل يهاجم من أجل النهب والسلب والاستيلاء على المؤن وتتقرر الغزوات لسدّ حاجات القوات وليس للمصلحة العسكرية وقد لفت ديفو الانتباه إلى العديد من الغزوات غير المجدية، ومما ساعد على انتشار هذا "النظام" أندري جوليان والذي أعتبره همجية وفوضى احتلال هي

أقرب للصوصية أنه يمكن للجنود أخذ قسمة من الغنيمة كما يباع الفائض بالمزاد لاقتسام عائداته [35].

لقد كان القتل والنهب من أهم مظاهر السياسة الفرنسية التي رافقت الاحتلال، وهنا يمكن إبراز نقطة تتعلق حسب ما يبدو في أن الجيش الفرنسي قد وجد في الحرب على الجزائريين فرصة للانتقام حتى من السلطات الفرنسية نفسها والتي رأى أنها لا تقدّر بحق الخدمة وحجم التضحيات التي يظهرها في إفريقيا ولعل هذا ما يفسر لجوء العسكريين لإطلاق يدهم في الجزائر سلبا ونهبا[36].

لم يكن هذا النظام يحظ في باريس بالتأييد الذي حظي به في الجزائر ولقد ندد به كاستيلان في غرفة النظراء، ودعا بيجو إلى تجنب التجاوزات الخطيرة في استعمال الموارد المتأتية من الغنائم التي تصادر من العدو، غير أن مراسلات الضباط تبين بأن لا أحد احترم الأوامر بدءا من لاموريسيار الذي كان المقصود الأول، كما يجب التذكير هنا أن الضباط والجنود كانوا يمارسون النهب لحسابهم الشخصي[37].

ويمكن أن نذكر هنا تأسف النقيب لافاي لهمجية الجيش والذي يصف المشهد المؤلم لمحرقة الشعب الجزائري: " كان يوجد لدى جنودنا استعداد ليصبحوا قطاع طرق، إنهم لم يتورعوا عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال...وما كان أبشع أن النساء كنّ يقتلن بعد الاعتداء على شرفهن، وهكذا ودون ضرورة عسكرية كنا نغتصب ونقتل بيد أن القادة مهما كان اشمئزازهم كانوا لا يرغبون في إعادة فرض الانضباط أو كانوا لا يستطيعون ذلك " [38].

لقد تحولت الغزوات إلى منهج للدمار المنظم الذي يأتي على الأخضر واليابس ولم يكن جنرالات إفريقيا يحرقون البلاد خلسة، كما لم يؤسف الوضع الإنساني وهم يبيدون الأعداء حسب اعتقادهم، بل جعل أغلبهم من ذلك العمل مفخرة ومجدا ملكيين كانوا أو جمهوريين أم من أتباع بونابرت، وأعجب مونتانياك بنظام الحرب الجديد الذي صممه لاموريسيار وكان يتمثل في تدمير معيشة العرب ذلك النظام الذي لم يستخدم الى حد الآن إلا على نطاق محدود، كما أعجب بمهارة الجنرال في اصطياد العرب في ملاجئهم[39].

لقد انتقد طوكفيل المجموعة المناهضة لممارسات الجيش بقوله: "غالبا ما سمعت رجالا أحترمهم ولكن لا أتفق معهم، يقولون أنه ليس من الأخلاقي حرق المحاصيل والمخازن أو

الهجوم على رجال ونساء وأطفال عزّل، وأنا أُول أن هذه أمور مؤسفة، لكن كل من يريد محاربة العرب وجد نفسه مضطرا للقيام بها"، فمثل العديد من معاصريه، أسس طوكفيل نظريته لخصائص الحرب على العرب والتي لا تترك الخيار لمن يريد الاحتلال واستقدام المعمرين الأوروبيين هناك سوى استعمال تلك الوسائل وهكذا اعتمد طوكفيل عل "قانون الحرب" وشرعيته حسب ما يعتقد لإسكات أي معارضة قد تأتيه من الجانب الآخر[40].

في الواقع حسب أوليفي لوكور فان طوكفيل لم يفعل أكثر من أنه ساند خططا رتبها آخرون، وكان بذلك يبقى على مسافة من أخطاء وجرائم بعض العسكريين، وفي نفس الوقت فانه يأخذ موقف الرجل السياسي الذي لمس الواقع عن قرب وهو واع" بالضروريات المؤسفة" التي تفرضها حرب الاستعمار على فرنسا، لكن ليس لفرنسا الخيار هي الأخرى بما أنها تريد استعادة مكانتها القوية والرائدة في أوروبا[41].

وعلى حسب رؤية ألكسيس دي طوكفيل أنه مهما طال الزمن، فان الحقد الذي يحيط بالفرنسيين لن يزول، وهذا ما يستوجب أن تكون الدولة الاستعمارية بالضرورة مهيكلة للحرب الدائمة مع الأهالي فالتحدث عن السلم والحرب لا معنى له في ظرف لا يدوم فيه السلم بل الحرب هي القاعدة والمألوف [42].

لقد تعرض الشعب الجزائري إلى إبادة حقيقية ومنظمة، ولم يكن نظام الحكم العسكري وحده المسئول عنها مابين 1830 و 1870 وإنما حتى نظام الحكم المدني هو الآخر ساهم في الإبادة بتوجيه من المعمرين الذين سيطروا سيطرة تكاد تكون شبه مطلقة على النظام الحاكم في الجزائر، فالطريقة التي انتهجتها إدارة الاحتلال الفرنسي في إبادة الشعب الجزائري لم ترى البشرية خلال القرن 19 مثلها إلا نادرا مناقضين بذلك شعاراتهم الجوفاء في الثورة الفرنسية عام 1789 "العدالة والإخاء وحقوق الإنسان" [43].

إن سياسة الإبادة الجماعية من إبادة العنصر البشري وجرائم منظمة في حق المجتمع الجزائري ثقافيا ودينيا إلى جانب الجرائم غير المباشرة والتي عكس وجهها الحقيقي المشروع الاستيطاني، كلها جوانب خطيرة كشفت أهداف فرنسا الكامنة وراء الاحتلال العسكري الذي اعتمد في ذلك على جيش لا مكان للمبادئ الإنسانية في أعماله الوحشية، فكان المجتمع الجزائري بالنسبة إليه حقل تجارب في التقتيل الجماعي والفردي وهذا ما جعلها عملية مقصودة الهدف منها هو

تغليب العنصر الأوروبي على حساب المجتمع الجزائري[44].

ولا يختلف الوضع خلال ثورة التحرير عن الفترات السابقة للاحتلال الفرنسي ففي مقابلة مع سيمون دي بولاديار عند طرح سؤال حول تفسير العنف الأقصى في حرب الجزائر تذكر:" في صيف 1956 طلب زوجي بمحض إرادته أن يحول إلى الجزائر رغبة منه في تأطير المجندين غير المهيئين للخدمة العسكرية فيها وكلف بالأطلس البليدي أين واجه وضعية عنف مفرط , لابد لتفسيره أن نأخذ في الاعتبار الإذلال الناتج عن حرب السويس التي أعقبت هزيمة ديان بيان فو ورفض الضباط أن يقبلوا كارثة جديدة وكثير منهم كانوا يعتبرون إن محاربة الشيوعية والدفاع عن الحضارة الغربية في الهند الصينية وفي الجزائر أيضا إنما هو رهان أساسي , لقد كان لحرب الجزائر عندهم نكتة الأخذ بالثأر"، إن الإعجاب الذي يبديه[45] الأقدام السوداء للمظليين وثناء أعيانهم على العقداء والجنرالات كان له وزنه. وفي مناخ كهذا كان الجنرال بولاديار يحرج فقد رفض أن يطبق الأوامر التي تضع في المرتبة الأولى الأولوية للعمليات البوليسية قبل كل تهدئة وعلى الخصوص تفتيش المساجد بانتظام وقد تدخل لإطلاق سراح أشخاص أوقفوا بطريقة غير عادلة أحيانا من طرف جنود توغلوا في القطاع الكائن تحت مسؤوليته , ويوجد هنا نوع من الحرب داخل الحرب فقد وجد رجال وأطفال وضعهم تحت حمايته مقتولين وعلى أجسامهم الأوراق التي زودهم بها وهي ممزقة عندما يحدث إفراط في الإساءة يتبع زوجي المسار إلى إن يوصله الى روبير لاكوست الوزير القيم وقد أجابه:" كفّ عن إثارة المشاكل يادي بولاردبيار، دع المظليين والجنرال ماسو يعملون " وأمام استحالة منع الجرائم طلب إعفاءه من قيادته [46].

ورغم أسف الجنرال ماسو والشهادات الكثيرة الخزي الصادرة عن الضباط الآخرين فان البعض يصرون على تقديم التعذيب كظاهرة ثانوية أو شر لابد منه من أجل الخير الأكبر للأغلبية، هو الاستنطاق من أجل حماية أرواح هي أرواح المدنيين الأبرياء وإجبار الإرهابي على الكلام ؟ – وهنا يجب أن نوضح مسألة في غاية الأهمية كون أن التعذيب ممارسة قديمة في تاريخ فرنسا وكان ملازما للاستنطاق الى حد أن اللفظتين أصبحا مترادفين كما يشرح ذلك المؤلفون في مواضع متفرقة – إن هذه الحجة المتكررة لا تثبت لأن تكرار التعذيب وتنوع ضحاياه يبين ذلك بما فيه الكفاية، أما بخصوص التأكيد على أن التعذيب كان فعالا وسمح بهزيمة العدو فليس من الصعب عكسه، وحسب ما نعتقد فان الاستعمار إذا لم يتمثل في العنف وحده فان هذا الأخير

كان مرتبطا بالاستعمار وأن التعذيب كان شكلا من أشكاله الأخرى وأنه كان سابقا لحرب الجزائر[47].

إن المنطق الفرنسي في التعامل مع ثقافة الإبادة والتقتيل والحرب لا تختلف كثيرا عبر مراحل الاحتلال الفرنسي في الجزائر ويشمل ذلك حتى المبشرين منهم حيث يمنحونه المرجعية والبركة الإلهية حسب اعتقادهم من بينهم المبشر بوجولا حيث كان يحرض في معرض حديثه الجنرال بيجو بقوله:" بأننا جئنا لإفريقيا من أجل مواصلة العمل الذي بدأه غودفروا ولويس السابع وسان لويس..إنها رسالة فرنسا التبشيرية..إن الحرب التي تقوم بها في إفريقيا إنما هي حلقة من حلقات الحروب الصليبية "، ولقد حاول هذا المبشر أن يبرر بكل مهارة ما تميزت به حملات إفريقيا من وحشية متذرعا بأن الله من أسمائه الحسنى أنه اله الجيوش واله المعارك وأن المجتمعات لا تتقدم إلا بالدماء والدموع، فهو على يقين حسب ما يعتقد بان الهدف الذي نسعى لتحقيقه من حروبنا في إفريقيا لهو أسمى وأقدس من الهدف الذي نسعى لتحقيقه من حروبنا في أوروبا، وأن المسألة تتعلق بقضية روحية هي قضية الحضارة، وقضية التعاليم المسيحية الخالدة التي كتب لها الله النصر المؤزّر في هذه الدنيا، وقيّض لها فرنسا لتكون لها سندا قويا[48]، فأي منطق أرعن يمثله هذا التفكير فمتى كانت الدماء والحروب رسالة الربّ في الأرض.

4) وقفة للعدالة والموضوعية التاريخية:

لقد خلف العدوان الاستعماري الفرنسي على الجزائر حالة من الفوضى، و سعى الجزائريون لمقاومة الاحتلال مع هروب ولجوء أعدادا كبيرة بعيدا عن الساحل والى المناطق الجبلية المنيعة حسب اعتقادهم ودواخل البلاد فارين من هجمات العساكر الفرنسيين مشردين في ذعر مع عائلاتهم حيث تعرضوا لحملات إبادة ونهب وهو ما يتعارض والقانون الدولي الإنساني الذي يضع مقاييس لحماية الأشخاص وقواعد أساسية بشأن أساليب الحملة التي شنتها فرنسا ويدرج تلك الممارسات ضمن جرائم الحرب، إن ما جرى يمكن إدراجه في فئة الإرهاب لأنها تعلقت بمخالفات جسيمة للقواعد الدولية الآمرة من قبيل شن هجمات على المدنيين وغيرهم من الأشخاص الذين لا يشاركون في الأعمال العدائية أو توقفوا عن المشاركة والذين يسعى القانون الدولي الإنساني لحمايتهم[49].

هناك ملاحظة يجب الإشارة لها في هذا المقام والمتمثلة في انه على الذاكرة الجماعية أن تتكفل

بالماضي الاستعماري , كما إن الفترات المحزنة الموالية لاستقلال المستعمرات أصبحت تستدعي شيئا آخر غير التاريخ الرسمي أو تاريخ المجاملة وقد آن الأوان للانتهاء من ذلك لتجاوز خليط من كتابات الوراقين والعنصرية المضادة للجنوب وكره الجانب الموجه ضد المهاجرين الذي تغلب هنا منذ نصف قرن وفي مثل هذا الأفق يتحمل المؤرخون مسؤوليات نحو مجتمعهم وليس عملهم أن يكونوا خبراء لدى المحاكم على غرار الطبيب أو الاختصاصي في الرصاص إنما يجب عليهم القيام بوظائف علمية واجتماعية واثبات الوقائع بأدق طريقة ممكنة والمساهمة في إنشاء إجماع من خلال تعليمهم ومنشوراتهم ومؤلفاتهم[50].

ومثلما يقول فرانسوا مسبيرو في" كتابه سان آرنو أو الشرف الضائع": " فان لكل بلد صفحات سوداء في تاريخه، وليس في وسع أحد أن يعيد عجلة التاريخ إلى الوراء فيصنعه من جديد. ولكن التمادي في نكران تلك الصفحات المظلمة، أو محوها، يعني التورّط فيها بشكل دائم، وبما أنّ تاريخ كلّ بلد يحتوي أيضا، على وجوه أخرى مشرقة، فليس من الممكن أن تعيش هذه الأخيرة، ولا تستمرّ وتخلد إلا إذا تأسست على الحقيقة التاريخية.إن السعي بحثا عن هذه الحقيقة،التاريخية، لا يعني التعبير عن ندم تأخر ميقاته، ولكن الغرض هو تحويل الحقيقة التاريخية إلى عامل تخصيب للمستقبل... هذا المسعى إذن، شكل من أشكال المحافظة على الثقة في الجنس البشري"[51].

استنتاج:

من خلال ما سبق ذكره يمكن اعتبار ما تعرض له الشعب الجزائري من إبادة وتقتيل يدخل ضمن الجريمة المنظمة والمخطط لها ضمن إستراتيجية الاحتلال الفرنسي للجزائر وليست مجرد عمليات معزولة انفرادية بدليل أنها لم تستهجن بل ولقيت الدعم والمساندة من طرف السلطات العليا في باريس والتي كان انشغالها الأساسي نجاح الحملة الاستعمارية وتحقيق مكاسبه منها ولو باستخدام كل وسائل الهمجية تجاه الشعب الجزائري.

إن الإبادة التي تعرض لها الشعب الجزائري تستدعي وقفة علمية وتاريخية من قبل الباحثين المختصين بكل أمانة بعيدا عن كل حماسة عاطفية، أو تأثيرات وأهداف سياسية والتي من شأنها استغلال هذا الملف الحساس في الذاكرة الجزائرية الفرنسية. وحسب اعتقادي فان الأمر يستدعي شيئا من الحرفية العلمية وسعة الأفق، بأن لا يكون الغاية من عملنا جرّ الأعداء المذنبين

إلى المحاكم أو حتى طلب الاعتذار منهم عما اقترفوه، لسبب بسيط، أن هذا الأمر لن يغيّر ما قد حصل ولن يكفّر الأخطاء التي ارتكبت عن وعي وبصيرة، ما عدا ما يجبر الخواطر أو أن يكون شيئا من الدبلوماسية، لأن الفرنسيين لو يصل بهم الأمر للاعتراف بفشل سياستهم ضد الجزائريين وبمخططات الإبادة والجرائم التي ارتكبوها في حقّهم، سيلغون جزءا كبيرا من تاريخهم المعاصر والذي دأبوا على تدريسه للأجيال على أنه بطولات وأمجاد فمن الصعب على الفرنسيين الانتحار تاريخيا. والأفضل من ذلك هو التنقيب بهدوء عن كل ما يتعلق بهذا الملف وعرضه على مقصلة التاريخ من خلال عمل هادئ بعيدا عن كل حماسة وعواطف جياشة من شأنها أن تنحرف بالبحث في هذا الموضوع عن قيمته التاريخية والعلمية فالباحث لا يمكن أن يتحول إلى قاض يصدر الأحكام حسب اعتقاداته وآرائه فلكل باحث أسلوبه وطريقته والتي من شأنها الاقتراب من الحقيقة التاريخية التي هي رسالة الباحث الحقيقية.

الهوامش:

1 – أوليفي لوكور غرانميزون، الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية، ترجمة: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007، ص ص 21–22.

2 – كلود ليوزو ، العنف والتعذيب والاستعمار من أجل الذاكرة الجماعية ، ترجمة (الصادق عماري, إبراهيم سعدي، مراد أعراب) ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 161.

3 – المرجع نفسه، ص ص 59–60.

4 – مصطفى الأشرف، الجزائر الأمّة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 22.

5 – عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830–1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995،ص68.

6 – المرجع نفسه،ص69.

7 – أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 89.

8 – عمار هلال، المرجع السابق، ص69.

9 – المرجع نفسه،ص70

10 – نفسه،ص70

11 – نفسه، ص 71.

12 – نفسه، ص 72.

13 – نفسه، ص 72.

14 – أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر. المقاومة والتحرير1830–1962 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص 38.

15 – المرجع نفسه، ص 59.

16 – نفسه، ص 50.

17 – نفسه، ص ص 50–51.

18 – مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 58.

19 – وهي جمع دوار، وهي عبارة عن مجموعة من الخيام المنصوبة على شكل دائري، وتوسع استعمال هذا المصطلح إلى أن أطلق على القرية الصغيرة، المرجع نفسه، ص 39.

20 – المرجع نفسه، ص 59.

21 – محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى نوفمبر 1954، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة،1985، ص 67.

22 – المرجع نفسه، ص 67.

23 – المرجع نفسه، ص 69.

24 – بوعلام نجادي، الجلادون 1830–1962، منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص17.

25 – كلود ليوزو، المرجع السابق، ص ص 192–193.

26 – فرنسوا مسبيرو، سانت أرنو أو الشرف الضائع، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007، ص 173.

27 – نفسه، ص 177.

28 – نفسه، ص 178.

29 – الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر –الخلفيات والأبعاد–، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007، ص ص 301–302.

30 – محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 71.

31 – مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 12.

32 – فرانسوا مسبيرو،المرجع السابق، ص179.

33 – المرجع نفسه، ص ص 179–180.

34 – نفسه، ص ص 180–181.

35 – شارل اندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاستعمار، المجلد الأول، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008، ص ص 540–541.

36 – الغالي غربي وآخرون، المرجع السابق، ص 303.

37 – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص541.

38 – المرجع نفسه، ص ص 544–545.

39 – نفسه، ص542.

40 – أوليفي لوكورغرانميزون، المرجع السابق، ص ص 126–127.

41 – المرجع نفسه، ص ص 129–130.

42 – نفسه، ص138.

43 – نفسه، ص138.

44 – بوعزّة بوضرساية وآخرون، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر1954، الجزائر، 2007، ص12.

45 – كلود ليوزو، المرجع السابق ، ص 6.

46 – المرجع نفسه ، ص 7.

47 – نفسه، ص 15.

48 – مصطفى الأشرف، المرجع السابق،ص ص 51–52.

49 – عمر سعد الله، القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 22.

50 – كلود ليوزو، المرجع السابق، ص ص 17–18.

51 – فرنسوا مسبيرو، سانت آرنو أو الشرف الضائع، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 8–9.

Génocide des algériens pendant l'occupation française entre les actes isolés et la stratégie coloniale

Othmane ZGUEB (*)(**)

Résumé

Cet article essaye de décrire une sujet très important sur la mémoire coloniale algérienne, et que les autorités coloniale officielle veuille le cacher et échapper à ses conséquences, pour ce qui est commis de crimes de génocide sur les Algériens. Ces comportement qui se classe à la hauteur des crimes d'état pour les séances d'assassina sauvages qu'elle avait commit sur les algériens. C'est pour cela que cette article essaye de discuter de cette problématique importante sur ce sujet liée à la question sur ce qui s'est passé de crimes de génocide et d'anéantissement de la race algérienne était une stratégie officielle ou simplement des actes isolés, peuvent tomber dans toutes les guerres et de conflits.

* Maitre-Assistant (A) – Département des sciences humaines – Faculté des sciences sociales et humaines - Université d'El oued - Algérie

** Doctorant au Département des sciences humaines - Faculté des sciences sociales et humaines – Université de Batna – Algérie.